

حروف المعاني لدى محمد باي بلعالم [ت. 2009م] دراسة في الظواهر النحوية.

فاطمة جريو

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

مقدمة:

يعد محمد باي بلعالم أحد الأقطاب العلمية البارزة في الجزائر عامة وفي ولاية أدرار خاصة، حيث عرف بغزارة علمه وإسهاماته وجهوده في مختلف العلوم، كالفقه والحديث والتاريخ والنحو والصرف والأدب وغيرها، واقتصرنا في هذا الصدد على جهوده النحوية والتي حاولنا من خلالها استنباط الظواهر النحوية التي تناولها في مؤلفاته، والتي تخص حروف المعاني، فكان عنوان هذا المقال: «حروف المعاني لدى محمد باي بلعالم دراسة في الظواهر النحوية»، وخصصنا الحديث في هذه الظواهر عن التناوب حيث تحل الحروف محل بعضها من حيث المعنى، وموقف العلماء واللغويين منه، بالإضافة إلى الزيادة في الحروف وكذلك حذفها، وقبل أن نلج إلى لب هذا الموضوع ارتأينا أن نقدم ترجمة موجزة لمحمد باي بلعالم.

1- لمحة موجزة عن محمد باي بلعالم:

هو أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري ويعود نسبه إلى قبيلة فلان والتي تضاربت حولها الأقوال واختلفت فيها الآراء والشهير أن أصولها تعود إلى قبيلة حمير القبيلة العربية الشهيرة باليمن ولد الشيخ عام 1930 م في قرية (ساهل) من بلدية (اقبلي) بدائرة أولف ولاية أدرار بجنوب الجزائر. 1.

تربى الشيخ في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة، حرصت على تعليمه فبدأ بالقران الكريم في مسقط رأسه في مدينة ساهل، هذه القرية التي كانت تعد منارة للعلم والمعرفة والتي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء، فدرس القران الكريم على يد المقرئ الحافظ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم، ودرس على يد والده مبادئ النحو والفقه، فكون ثروة ورصيда هاما من العلوم والمعرفة، ودرس على يد الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي مدة من الزمن، ليشرع في ترحاله في طلب العلم والمعرفة قاصدا زاوية

الشيخ أحمد بن عبد الله المعطي السباعي ، مكث هناك حوالي سبع سنوات حيث تلقى فيها عدة علوم منها (علوم القرآن والحديث و النحو والفقہ المالكي وأصوله والفرائض) وخلال فترة دراسته تحصلا على عدة إجازات منها الإجازة العامة بعد إنهاء دراسته عن شيخه الطاهر بن عبد المعطي السباعي وإجازة أخرى عن شيخه الحاج أحمد الحسن والشيخ البدليمي في الحديث الشريف وأخرى من الشيخ العلوي المالكي المكي رحمه الله تعالى (مدرس بالمسجد الحرام) كما تحصل على شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية.2

وبالرغم من انشغاله وجسامته المسؤوليات الملقاة على عاتقه، إلا أنه لم يتوقف عن التحصيل العلمي والمعرفي ليشغل وقته الثمين بالمطالعة والتأليف والترحال إلى عدة بلدان في داخل الوطن وخارجه، حيث كانت له لقاءات مع عدة شيوخ وطلبة حيث أفاد واستفاد، ومن الدول في الخارج التي زارها (تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية) حيث كانت أول زيارة له إلى المملكة العربية السعودية من أجل أداء فريضة الحج سنة 1974 م ليعود إليها سنة 1984م للمرة الثانية ، ومنذ ذلك العام لم يتخلف عن أداء هذه الفريضة، وله ما يزيد عن 24، وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد 19 أفريل سنة 2009م، تاركا وراءه مكتبة ثرية من المؤلفات في مختلف العلوم كعلوم القرآن والحديث والفقہ والنحو والصرف والتاريخ وغيرها، فهي كثيرة تزيد عن الثلاثين، نذكر منها: 3

- 1- ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم.
 - 2- اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن أجيروم.
 - 3- كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.
 - 4- منحة الأتراب على ملحمة الإعراب.
 - 5- الرحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم.
 - 6- التحفة الوسيمة على الدررة اليتيمة.
 - 7- عون القيوم على كشف الغموم.
 - 8- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات.
 - 9- قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر ، وغيرها من المؤلفات اقتصرنا منها على المؤلفات النحوية من أجل استنباط الظواهر النحوية التي جاءت فيها.
2. الظواهر النحوية عند محمد باي بلعالم:

اهتم محمد باي بلعالم اهتماما بالغا في مؤلفاته بالظواهر المتعلقة بالحروف، كإحلال الحرف محل غيره، والتي تسمى بـ (تناوب الحروف)، والزيادة والحذف، وغيرها.

1- ظاهرة التناوب بين الحروف:

لقيت حروف المعاني اهتمام النحاة واللغويين، حيث أفردوا لها مؤلفات خاصة بها منذ القديم، ككتاب حروف المعاني للزجاجي (ت.340هـ)، ومعاني الحروف للرماني (ت.384هـ) ورصف المعاني في شرح حروف المعاني للمالقي (ت.702هـ) والتحفة الوفية بمعاني حروف العربية (ت.743هـ) و«الجنى الداني في حروف المعاني» لابن أم قاسم المعروف بالمرادي (ت.749هـ)، ومعاني الأدوات والحروف لابن القيم الجوزية (ت.751هـ) وغيرها من المؤلفات التي اهتمت بالحروف ومعانيها.

يعود مصطلح التناوب إلى الأصل (ناب)، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ): «ناب عني فلان في الأمر نيابة، إذا قام مقامك، وتناوبنا الخطب والأمر نتناوبه، إذا قمنا به نوبة بعد نوبة»⁴.

فالتناوب لغة معناه إحلال الشيء مكان الشيء.

أما اصطلاحاً فمعناه جعل الحرف مكان حرف آخر⁵، كما خصص علماء اللغة للحرف الواحد معنى أصلي، ويمكن أن تتفرع عنه عدة معان تستنبط من خلال سياق الكلام⁶.

وقد كانت مسألة تناوب الحروف محل خلاف بين البصريين والكوفيين، حيث رفض بعض البصريين مسألة التناوب منهم ابن السراج (ت.316هـ) الذي يقول: «باب ما جاء من ذلك على ثلاثة أحرف فمن ذلك (على) ذكر محمد بن يزيد أنها تكون حرفاً واسماً وفعلاً وإن جميع ذلك مأخوذ من الاستعلاء»⁷.

أي أن (على) معناها الأساسي هو الاستعلاء.

وتطرق إلى رفض البصريين لمسألة التناوب الباحث فاضل صالح السامرائي حيث قال: «ومذهب جمهور البصريين أن حروف الجر أن لا ينوب بعضها عن بعض، إلا شذوذاً أما قياساً فلا»⁸.

ثم أيد البصريين في مذهبهم برفض ظاهرة التناوب حيث قال: «والحق أن الأصل في حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض، بل الأصل أن لكل حرف معناه واستعماله، ولكن قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور الحروف على هذا المعنى»⁹.

أما الكوفيون فأجازوا أن يحمل الحرف الواحد أكثر من معنى، ويمكن أن ينوب عنه ويحل محله من ذلك قول أبو البركات الأنباري (ت.577هـ) في عرضه لحجج الكوفيين في مسألة (حتى) حيث يقول: «كقولك (اذكر الله حتى تطلع الشمس) أي إلى أن تطلع الشمس، فإن كانت بمعنى (كي) فقد قامت مقام (كي)»¹⁰.

فهذا القول يدل على أن الكوفيين أجازوا تناوب الحروف مكان بعضها.

كما خصص ابن قيتبة (ت.276هـ) لهذه المسألة باباً في كتابه: تأويل مشكل القرآن سماه «باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض»، من أمثلة ما ذكره أن

(في) تنوب عن (على)، يقول: ”(في) مكان (على) قوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) 11 أي على جذوع النخل» 12.

وقد وقف تمام حسان عند ظاهرة التناوب قائلاً: ”أما نيابة الحرف عن الحرف فمصدرها المبدأ الذي يسمح للمبنى الوظيفي أن تتعدد معانيه وإنك لو رجعت إلى معاني حروف الجر مثلاً في أي متن من متون النحو لوجدت المعنى الواحد ربما عبر عنه عدد من الحروف” 13.

ويطلق على هذه الظاهرة عدة مصطلحات منها: مصطلح التضمين، والتضمين لغة معناه إدراج وجعل الشيء في شيء آخر، يقول ابن منظور ”ضَمِنَ الشيءَ الشيءَ أودعَهُ إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر، ولكل شيءٍ أحرز فيه شيءٍ فقد ضمنه” 14.

أما التضمين اصطلاحاً فمعناه «إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال، وفي الحروف، ... وأما الأفعال فإن تضمن فعلاً معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً، وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف، فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عاداته التعدي به، فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل، ليصحّ تعديه به، واختلفوا أيهما أولى فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى» 15.

فهذا القول يدل على أن التضمين يقع في الاسم والفعل والحرف، ويؤكد أن الحرف قد ينوب عن حرف آخر بشكل واسع.

ويقف تمام حسان عند هذا المصطلح ويصرح بأنه يرادف مصطلح التناوب حيث يقول: «والتضمين في البيان أن تعدي الفعل بغير حرفه أما في النحو فهو إشراب كلمة معنى كلمة أخرى لتقع موقعها وتتبوأ بيئتها في الكلام وتؤدي وظيفتها النحوية، وقد رأينا نموذجاً من ذلك في نيابة الحرف منذ قليل ولكن ظاهرة التضمين النحوي أوسع مدى من إقليم الحروف» 16.

معناه أن مصطلح التضمين يطلق على عدة مجالات منها مجال النحو والذي يقصد به إحلال نيابة كلمة أو حرف مكان آخر مع الحفاظ على الوظيفة النحوية التي يؤديها الحرف الأول.

ويوضح الباحث فاضل صالح السامرائي مصطلح التضمين حيث يقول: «ذكرنا أنه قد ينوب حرف عن حرف لأداء معنى معين، ولكن الأصل عدم النيابة بل إبقاء الحرف على أصل معناه، ولسنا نذهب مذهب من يجعل نيابة الحروف عن بعضها هي الأصل، وأن الحرف الواحد يقع بمعنى عدة حروف بصورة مطردة ... ومعنى التضمين إشراب لفظ معنى لفظ فيعطونه حكمه، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين، كقولهم (سمع الله لمن حمده) أي استجاب فعدي (يسمع) باللام وإنما أصله أن يتعدى بنفسه» 17.

فالسامرائي جمع بين مصطلحي التناوب والتضمين ولكن فرق بينهما حيث رفض التناوب الذي يعني إحلال حرف مكان حرف آخر لأداء معناه، أما التضمين أن يكون للفظ معنى حقيقي ويمكن أن يكون معه فعل آخر يناسبه في المعنى.

ويطلق على ظاهرة التناوب مصطلح التعاقب، والتعاقب لغة هو «كل شيء يُعقبُ شيئاً، فهو عقيبُه، كقولك: خَلَفَ يَخْلِفُ، بمنزلة: الليل والنهار، إذا قضى أحدهما، عقب الآخر، فهما عقيبان، وكل واحد منهما عقيب صاحبه، ويعتقبان: يتعاقبان، إذا جاء أحدهما ذهب الآخر، وعقب الليل النهار والنهار الليل: أي خَلَفَهُ، وأتى فلان إلى فلان خبراً فعقب بخير منه أي أردف، ويقال عقب أيضاً مشدداً» 18.

أما التعاقب اصطلاحاً فأطلقه اللغويون القدامى على التغيرات الصوتية كالإبدال والقلب وكتعاقب الواو والياء فيما بينهما نحو: حكيت وحكوت 19، أما المحدثون فيقصر التعاقب عندهم على الجانب النحوي دون غيره من المستويات اللغوية، حيث أفردت الباحثة نادية رمضان النجار، ضمن كتابها (أبحاث نحوية ولغوية) بحثاً عنونه: (التضام والتعاقب في الفكر النحوي)، وفرقت فيه بين ثلاثة مصطلحات أساسية وهي: الإنابة والتعاقب والإغناء، فخصصت الإغناء للأفعال، والتعاقب للحروف، والإنابة للأسماء، حتى لا يؤدي الخلط بين هذه المصطلحات على إلى اللبس والاضطراب 20.

وعرّفت التعاقب بقولها: «هو التناوب والتناوب بين عنصرين لغويين على معنى واحد؛ لقرب الدلالة بينهما، أو بمعنى آخر، هو إنابة عنصر مكان غيره، فيحل محله في وظيفته، أو معناه، أو لفظه، ومعنى ذلك أن الإنابة والتعاقب على معنى واحد عند النحاة 21.

كما تضيف هذه الباحثة أنه ورد مصطلح آخر بمعنييهما هو: الإغناء، إذن: التعاقب والإنابة والإغناء مصطلحات مترادفة في الدرس اللغوي، وتأتي هذه الظاهرة في جميع أنواع الكلام، فقد ترد في الأدوات، كما في قوله: زيد بمكة، وزيد في المدينة، فالحرفان: الباء وفي، قد تعاقبا على معنى الإلصاق، والاحتواء؛ لقرب الدلالة بينهما 22.

وهنا نجد تمام حسان يطلق مصطلح المعاقبة حيث يقول: «والمقصود بالمعاقبة صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل عنصر آخر سواء كان أحد العنصرين أم كلاهما مفرداً أم جملة فإذا حل محله أخذ حكمه» 23.

فمن خلال قول تمام حسان نرى أن المعاقبة أو التعاقب لا تقتصر على الحروف فقط، بل تتعداها إلى الكلمات والتراكيب التي تحل محل أخرى، فهي ظاهرة لغوية تشمل كل المستويات لأنها تتعلق بالحروف والكلمات والتراكيب.

وفيما يأتي نعرض ما جاء في تناوب حروف الجرفي مؤلفات محمد باي بلعالم .

أولاً: تناوب (من) :

1- (من) بمعنى (الباء) : جاء هذا في قوله: «ورادفت باء نحو: (ينظرون من طرف خفي) 24» 25.

وأثبت هذا التناوب الفراء (ت. 207هـ) في قوله: «ويصلح مكان (من) على ، والباء ، واللام» 26. أي بطرف خفي.

2- (من) بمعنى (في) : وهو ما قال به الفراء وأثبتته 27 ، كما عند محمد باي بلعالم: «ورادفت في نحو: (أزوني ماذا خلقوا من الأرض) 28» 29. أي في الأرض.

3- (من) بمعنى (عن) : يقول سيبويه: «تقول أضربت عنه وأعرضت عنه وانصرف عنه إنما تريد أنه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره وتقول أخذت عنه حديثاً أي عدا منه إلي حديث وقد تقع من موقعها أيضاً تقول أطعمه من جوع وكساه من عري وسقاه من العيمة» 30. أطعمه عن جوع وكساه عن عري وسقاه عن عيمة.

ويقول محمد باي بلعالم: «(وعن) نحو: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) 31» 32.

أي عن ذكر الله تعالى.

4- (من) بمعنى (على) : يقول محمد باي بلعالم: «(على) نحو: (وَنَصْرَنَا مِنْ الْقَوْمِ) 33، أي على القوم.

ثانياً: تناوب (إلى):

1- (إلى) بمعنى (مع) : قال محمد باي بلعالم: «(وصاحب) يعني بمعنى مع كقولهم: ” (الذود إلى الذود إبل) أي مع الذود» 34.

2- (إلى) بمعنى (اللام) : يقول الفراء (ت. 207هـ): ” وربما جعلت العرب (إلى) في موضع اللام. وقد قال الله عز وجل : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) وقال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) وقال : (يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا) وقال : (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) وقد يجوز في العربية أن تقول : فلان يخبت إلى الله تريد : يفعل ذلك بوجهه إلى الله لأن معنى الإخبات الخشوع ، فيقول : يفعله بوجهه إلى الله ولله. وجاء في التفسير : وأخبتوا فرقا من الله فمن يشاكل معنى اللام ومعنى إلى إذا أردت به لمكان هذا ومن أجل هذا” 35.

ويقول محمد باي بلعالم: ” (ورادفت (لاما) نحو قوله تعالى: ” (وَالأَمْرُ إِلَيْكَ) 36” 37.

أي الأمر لك.

3- (إلى) بمعنى (عند) : يقول محمد باي بلعالم: ” (ورادفت عند قول الشاعر:

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره أشهى إلي من الرحيق السلسل

أي أشهى عندي»38.

4- (إلى) بمعنى (في): يقول الشيخ: "وبمعنى في نحو قوله تعالى: (لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) 39 أي في يوم القيامة»40.

5- (إلى) بمعنى (من): يقول محمد باي بلعالم: "وتأتي بمعنى (من) كقول الشاعر:

تقول وقد عليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلى ابن أهور؟.

أي منه والضمير في تقول راجع إلى الناقته»41.

ثالثا: تناوب (في):

1- (في) بمعنى (على): يقول محمد باي بلعالم: "وبمعنى على كقوله تعالى: "ولأصلبناكم في جذوع النخل) 42»43.

2- (في) بمعنى (من): يقول محمد باي بلعالم: "وبمعنى (من)، نحو قوله تعالى: "فردوا أيديهم في أفواههم) 44»45.

رابعا: تناوب على: جاء تناوب (على) مع عدة حروف وهي:

1- (على) بمعنى (مع): يقول محمد باي بلعالم: "وتأتي بمعنى (مع)، كقوله تعالى: (عَلَى حُبِّهِ) 46 أي مع حبه"47.

2- (على) بمعنى (عن): يقول الشيخ: "وتأتي بمعنى (عن) نحو قول الشاعر: إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبي رضاها.

أي عني»48.

3- (على) بمعنى (من): يقول محمد باي بلعالم: "وتأتي بمعنى (من) نحو قوله تعالى (إِذَا كُتِلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) 49، أي من الناس"50.

4- على بمعنى (الباء): يقول الشيخ: "وتأتي بمعنى (الباء) نحو: "حقيق علي ألا أقول على الله إلا...)" 51 أي تحقيق بي»52.

5- (على) بمعنى (في): يقول محمد باي بلعالم: "وتأتي بمعنى (في) نحو: (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) 53 أي في ملك سليمان»54.

خامسا: تناوب (عن):

1- (عن) بمعنى (في): يقول محمد باي بلعالم: "الظرفية وتقدر بـ (في) كقول الشاعر:

وبين بنات الحي حيث لقيتهم ولاتك عن حمل الرعية وائيا

أي في حمل الرعية»55.

2- (عن) بمعنى (من) :

يقول محمد باي بلعالم: ” وبمعنى (من)، نحو قوله تعالى: ” وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ » 56 أي من عباده« 57.

3- (عن) بمعنى (الباء):

وتأتي بمعنى (الباء) نحو قوله تعالى: ” (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) 58 أي بالهوى« 59.

4- (عن) بمعنى (على): يقول محمد باي بلعالم: ”بمعنى على كقوله تعالى (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) 60 أي على نفسه« 61.

5- (عن) بمعنى (اللام): يقول محمد باي بلعالم: ”وبمعنى اللام كقوله (وما نحن بتاركي ألهتنا عن قولك) 62 أي لقولك« 63.

6- (عن) بمعنى (بعد): يقول محمد باي بلعالم: ”وبمعنى بعد كقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) 64 أي بعد طبق« 65.

سادسا: تناوب الباء :

1- (الباء) بمعنى (من): يقول محمد باي بلعالم: «(والباء) يعني من حروف الجر الباء وتجر الظاهر والضمير نحو: مررت بزيد وبه وبك وبني. ولها معان كثيرة... التبعية»: نحو قول الشاعر:

شربنا بماء البحر ثم ترفعت... الخ البيت

يعني من ماء البحر. ومنه قوله تعالى: (عينا يشرب بها عباد الله) 66 أي منها« 67.

2- (الباء) بمعنى (في) : يقول محمد باي بلعالم: ”والبعدية نحو قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدن) 68« 69.

3- (الباء) بمعنى (على) : يقول محمد باي بلعالم: ”والاستعلاء نحو قوله تعالى: (مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَقُنْطَارٍ يُوَدُّهُ إِليكَ) 70« 71.

4- (الباء) بمعنى (إلى) : يقول محمد باي بلعالم: ”والانتهاء نحو: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) 72« 73.

5- (الباء) بمعنى (مع) : يقول محمد باي بلعالم: «(وصاحبوا) نحو: (اهبط بسلام) 74« 75.

6- (الباء) بمعنى (عن): يقول محمد باي بلعالم: ” (وجاوزوا): نحو قوله تعالى: (فاسأل به خبيراً) 76« 77.

ويقول أيضا: ”وتأتي بمعنى (عن) كقوله تعالى (سأل سائل بعذاب) 78 وقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طيب« 79.

سابعاً: تناوب اللام:

1- (اللام) بمعنى (إلى) : يقول محمد باي بلعالم: «وفي انتهاء غاية نحو قوله تعالى (كل يجري لأجل مسمى) 80» 81.

2- (اللام) بمعنى (على) : يقول محمد باي بلعالم: «ووافقن به على نحو قوله تعالى: (وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ) 82» 83.

3- (اللام) بمعنى (بعد) : يقول الشيخ: «وبعدا نحو قوله تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) 84» 85.

4- (اللام) بمعنى (في) : أثبت هذا المعنى الفراء 86، وقال به محمد باي بلعالم: «(وفي) نحو قوله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) 87» 88.

5- (اللام) بمعنى (من) : يقول محمد باي بلعالم: «(ومن) نحو قول الشاعر:

لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل» 89.

6- (اللام) بمعنى (عن) : يقول محمد باي بلعالم: «(وعن) نحو قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) 90» 91.

7- (اللام) بمعنى (مع) : يقول محمد باي بلعالم: «(مع) نحو قول الشاعر:

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا» 92.

8- (اللام) بمعنى (عند) : يقول محمد باي بلعالم: «(وعند) نحو: كتبت له خمس خلون، وتسمى لام التاريخ» 93.

ويذهب الباحث فاضل صالح السامرائي إلى وجود فرق «بين قولك (لخمس خلون) (وبعد خمس) فقولك : بعد خمس لا يتعين فيه أنه اليوم السادس، بل ما بعد الخمس يحتمل السادس والسابع والعاشر وغيرهن؛ لأن ذلك كله كما تقول: تعال بعد منتصف الشهر، وتعال بعد العيد، وتعال بعد رمضان. كل ذلك يحتمل المباشرة وغيرها. فنحن نقول (محمد بعد عيسى)، وبينهما قرون وأما قوله (لخمس خلون) فيتعين أنه كتب بعدهن بلا فاصل أي في اليوم السادس وهي للاختصاص كما يبدو» 94.

ثامناً: تناوب منذ:

1- (منذ) بمعنى (من): وفي هذا يقول محمد باي بلعالم: «منذ منذ ولا يجران إلا الظاهر وهما بمعنى من الابتدائية إذا كان المجرور بهما ماضيا نحو ما رأيت منذ يوم الجمعة» 95.

أي ما رأيت من يوم الجمعة.

2. (منذ) بمعنى (في): وفي هذا يقول محمد باي بلعالم: «يشير ابن مالك بقوله:

وان يجرا في مضي فكمن هما وفي الحضور معنى في استبن

وقوله في الحضور نحو ما رأيت من يومنا أي في يومنا» 96.

من هنا نرى أن ظاهرة التناوب في الحروف لقيت قبولا ورفضاً بين العلماء القدماء والمحدثين، فمنهم من أقر بوجودها، حيث يمكن للحرف أن يحل محل حرف آخر، ومنهم من رفضها وذهب إلى أن الحرف الواحد يستقل بمعناه ولا يمكن لحرف آخر أن يحل محله في جميع الأحوال، أما محمد باي بلعالم فكان موقفه واضحاً حيث أقر بوجود التناوب والدليل على ذلك الأمثلة التي ذكرناها.

2. ظاهرة زيادة الحروف:

تناول النحاة ظاهرة زيادة الحروف وتطرقوا إلى مواضعها، وشروط زيادتها.

والزائد معناه: «أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى» 97.

ورد مصطلح الزيادة عند الخليل (ت. 175هـ) في قوله: ((لا حرف ينفي به ويججد، وقد تجيء زائدة، وإنما تزيدها العرب مع اليمين، كقولك: لا أقسم بالله، لأكرمك إنما تريد: أقسم بالله وقد طرحها العرب» 89.

كما تردد هذا المصطلح كثيراً عند سيبويه (ت. 180هـ) حيث يقول: ((هذا باب ما يتقدم أول الحروف وهي زائدة قدمت لإسكان أول الحروف) فلم تصل إلى أن تبتدى بساكن فقدمت الزيادة متحركة لتصل إلى التكلم والزيادة هنا الألف الموصولة وأكثر ما تكون في الأفعال فتكون في الأمر من باب فعل يفعل ما لم يتحرك ما بعدها وذلك قولك اضرب اقتل اسمع اذهب» 99.

ويقول المبرد (ت. 285هـ): «(ما) لها خمسة مواضع... لها موضعان تقع فيهما وليست باسم إنما هي فيهما حرف فأحدهما النفي نحو قولك ما زيد في الدار وما يقوم زيد والموضع الآخر هي فيه زائدة مؤكدة لا يخل طرحها بالمعنى كقول الله عز وجل: (فَبِمَا رَحْمَةٍ) وكذلك (فبما نقضهم ميثاقهم)» 100.

أما ابن يعيش (ت. 646هـ) فيرجع أصل تسمية الزيادة إلى البصريين، ويقابله مصطلح الصلّة والحشو عند الكوفيين، يقول: «والصلّة والحشو من عبارات الكوفيين والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين» 101.

ولكن نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي يستعمل مصطلحي الحشو والصلّة وهو أستاذ البصريين، حيث يقول: «ولا حشو مثل قول الله عز وجل (ما منعك ألا تسجد) 102 معناه أن تسجد... ولا التي للصلّة قوله تعالى: (لا أقسم) 103 معناه أقسم و(لا صلّة)» 104.

ويطلق على الزيادة مصطلح (الإقحام)، الذي يعود للفعل قح: القاف والحاء والميم أصل صحيح يدل على تورّد الشيء بأدنى جفاء وإقدام، يقال قح في الأمور قحوماً: رمى بنفسه فيها من غير روية. 105

ويقال أقحم فرسه النهر إقحماً، وكل ما أدخلته شيئاً فقد أقحمته إياه، وأقحمته فيه. 106.

أما معنى الإقحام اصطلاحاً فهو إدخال كلمة أو أكثر بين كلمتين متصلتين بحذف غير الملائم، كإدخال المعطوف على المضاف إليه (بين المضاف والمضاف إليه) بعد حذف الضمير المختص بالمضاف إليه، مثل (كتاب وقلم العالم) والأصل (كتاب العالم وقلمه)، وهذا التركيب فصيح. 107

ويرادف مصطلح الإقحام مصطلح الحشو والزيادة واللغو، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175 هـ): «واو الإقحام مثل قول الله عز وجل: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) 108 معناه يصدون والواو فيه واو إقحام، ومثله: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان، وضياء) 109، معناه آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لا موضع للواو ههنا إلا أنها أدخلت حشوا» 110.

فالزيادة والإقحام والحشو مترادفات في هذا القول.

ويضيف سيبويه (ت. 180 هـ) مصطلح اللغو في قوله: "ويدلك على أن الكاف هي العاملة قولهم هذا حق مثل ما أنك هاهنا وبعض العرب يرفع فيما حدثنا يونس وزعم أنه يقول أيضاً (إنه الحق مثل ما أنكم تنطقون) فلولا أن ما لغو لم يرتفع مثل وإن نصبت مثل فما أيضاً لغو لأنك تقول مثل أنك هاهنا" 111.

جاء استعمال مصطلح الزيادة عند محمد باي بلعالم في عدة مواضع، منها كثيرة، منها قوله في باب (جواز الفعل): " (وأي) نحو قوله تعالى: (أياماً تدعو فله الأسماء الحسنى) فأى اسم شرط جازم مفعول مقدم لتدعو وما زائدة وتدعو فعل مضارع مجزوم بحذف النون على أنه فعل الشرط وجملة فله الأسماء الحسنى في محل جزم جواب الشرط لأن القاعدة أن جواب الشرط إذا لم يصلح أن يكون فعلاً للشرط تعين قرنه بالفاء" 112.

وقد تناول محمد باي بلعالم ظاهرة زيادة الحروف، فكان ينبه إلى الحرف الزائد، ومن هذه الأحرف التي أشار إلى زيادتها مايلي:

1- زيادة (من):

ذكر النحاة أن (من) لا تزداد عند جمهور البصريين إلا بشرطين: أحدهما أن يكون المجزوم بها نكرة، والثاني أن يسبقها نفي أو شبهه، والمراد بشبه النفي: النهي، نحو لا تضرب من أحد والاستفهام نحو هل جاءك من أحد، ولا تزداد في الإيجاب ولا يؤتى بها جارة لمعرفة فلا تقول جاءني من زيد، ... وأجاز الكوفيون زيادتها في الإيجاب بشرط تنكير مجزورها، ومنه عندهم: قد كان من مطر أي قد كان مطر» 113.

وذكر ابن كمال باشا (ت. 940هـ) أن (من) تزداد «في النكرة لاستغراق الجنس في الفاعل والمفعول نهياً نحو: لا يذهب من أحد: لا تضرب، وتزداد في المبتدأ نفياً واستفهاماً ... تكون من لاستغراق الجنس نحو: ما جاءني من رجل، وإذا كان مجرورها من تلك الأسماء فتكون لمجرد التأكيد لا للتبعيض على الاستغراق لأن معنى ما جاءني أحد، وما جاءني من أحد سواء في التبعيض على العموم، وسميت مزيدة مع إفادتها الاستغراق لعدم تغير المعنى بإسقاطها» 114.

من هنا نرى أن الحرف الزائد هو ما يمكن الاستغناء عنه دون أن يحدث خلافاً في المعنى بعد حذفه.

ويوضح أحمد بن عبد النور المالقي (ت. 702هـ) المواضع التي تزداد فيها (من) بقوله: «

القسم الذي تكون فيه زائدة تنقسم قسمين قسم لتفي الجنس وقسم لاستغراق نفيه... الفرق بين نفي الجنس واستغراق نفيه أن التي لنفي الجنس يحتمل ما بعدها أن ينفي مفرد اللفظي أو جنسه المعنوي، فيحتمل أن تريد جنس الرجال ويحتمل أن تريد الرجل الواحد، والتي لاستغراقه لا تنفي إلا الجنس بكليته، ولا تبقى منه شيئاً» 115.

واختصر محمد باي بلعالم الحديث عن زيادة (من) في قوله: «و (نصن) أي وتأتي للتنصيص على العموم لتأكيد التنصيص عليه وهي الزائدة ولها شرطان: أن يسبقها شرط أو شبهه» 116.

ويقول أيضاً في باب الاستثناء: «قال تعالى (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) وبنو تميم يجيزون النصب والإبدال، ويقرأون (إلا اتباع الظن) بالرفع على أنه بدل من العلم، ولا يجوز أن يقرأ على الخفض على الإبدال منه باعتبار اللفظ، لأن الخافض له (من) الزائدة، و(اتباع الظن) معرفة موجبة و(من) لا تعمل إلا في النكرات المنفية أو المستفهم عنها» 117.

2- زيادة (عن):

يقول محمد باي بلعالم: «وتأتي زائدة، كقول الشاعر:

أَتَجَزَعُ إِنْ نَفْسُ أَتَاهَا حِمَامَهَا فَهَلَّا أَلَّتِي عَنْ بَيْنِ جَنبِيكَ تَدْفَعُ» 118.

وتقدير البيت فهلاً تدفع عن التي بين جنبيك.

3- زيادة الكاف:

ذكر النحاة أن الكاف تكون زائدة «إذا دخلت على لفظ المثل كقوله تعالى (ليس كمثلته) ولو لم تكن زائدة يلزم إثبات المثل لله تعالى لأن المسلوب حينئذ يكون مثل مثله تعالى لأنفس مثل الله تعالى، أو دخول لفظ المثل عليها نحو فأصبحوا مثل كعصف فلا بد من الحكم بزيادة أحدهما يعني المثل والكاف لأن معناه واحد» 119.

والى هذا ذهب محمد باي بلعالم حيث قال: «وتكون زائدة كقوله تعالى: (ليس كمثل شيء)» 120. «121

4- زيادة اللام:

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ) زيادة اللام في قوله: «ولام الإقحام مثل قول الله عز وجل (إن كاد ليضلنا) وقوله تعالى (عسى أن يكون ردف لكم معناه ردفكم، وقال الشاعر:

أم حليس لعجوز، شهرية ترضى من اللحم بعظم الرقبة
أدخل اللام في لعجوز إقحاما» 122، يعني زائدة وحشوا.

ويذهب الباحث فاضل صالح السامرائي أن اللام الزائدة أنواع، منها لام التقوية كما يسميها النحاة وهي عندهم التي تزداد لتقوية عامل ضعف إما بتأخره أو لأنه فرع، والأصل أقوى من الفرع، ثم يعقب على ما قاله النحاة بقوله: «وفيما أرى كلام لا حقيقة تحته، فإن اللام للتقوية ولكن ليست لتقوية العامل الضعيف بل لتقوية الاختصاص وتوكيده، فإنك تقول (أكرمت محمدا) فإذا أردت التخصيص قلت (محمدا أكرمت) بتقديم المفعول، فإذا أردت زيادة التخصيص وتوكيده جئت باللام الدالة على الاختصاص فتقول (لمحمد أكرمت)» 123.

وفي هذا الصدد يلتقي محمد باي بلعالم مع علماء اللغة المحدثين عندما أشار إلى زيادة اللام تفيد التوكيد حيث يقول: «أي الزائدة للتوكيد نحو قول الشاعر:

ومن يك ذا عظم صليب رحابه ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره» 124.

فزيادتها في هذا البيت لتفيد التوكيد.

5- زيادة الباء:

أشار محمد باي بلعالم إلى أن الباء تأتي زائدة منها قوله: «وتأتي زائدة نحو احسن بزید»

ويقول أيضا: «الباء تختص بليس في الخبر، نحو قوله تعالى: (أليس الله بكاف عبده) 125 وكقولهم ليس الفتى بالمحتقر، وكذلك تزداد بعد (ما) نحو (وما ربك بغافل عما تعملون) 126 وقد ترد الباء قليلا في خبر (لا) كقول الشاعر:

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعتة بمعن فتيللا عن سواد ابن قارب

وكذلك تزداد في خبر مضارع كان المنفية بلم كقول الشاعر:

وان مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أشجع القوم أعجل» 127.

6- زيادة (ما):

يقول محمد باي بلعالم: «ومما يجزم فعلين (إذ ما) وهي حرف شرط أصله (إذ) زيدت عليها (ما) فهي ملازمة لها ومثال الجزم بها قوله:

وانك إذ ما تأت ما أنت أمر به تلف من إياه تامر آتيا.

إذ ما: حرف شرط، تأت: فعل الشرط مجزوم بحذف الياء و(تلف) جوابه مجزوم بحذفها أيضا، و(أين) وهي اسم شرط وتأتي لتعميم الأمكنة، نحو قوله تعالى: (أينما تكونوا يدرككم الموت) 128 فرأين) اسم شرط جازم مبني على الفتح في محل الظرفية، و(ما) زائدة و(تكونوا): فعل مضارع مجزوم بـ (أين) فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، لأن كان هنا تامة فلا تحتاج إلى الخبر» 129.

7- زيادة (لا):

يقول: «لا توجد في كلام العرب على أنواع فقد تكون عاطفة وتكون ناهية وتكون زائدة» 130.

وقد تطرق محمد باي بلعالم إلى زيادة كثير من الحروف نكتفي بهذه النماذج، لان الإحاطة بها يطيل البحث.

3- ظاهرة حذف الحروف :

تعرض المفردات لعدة ظواهر منها الزيادة ومنها الحذف الذي تناوله علماء اللغة والنحو في القديم والحديث، ونتحدث في هذا الصدد عن الحذف الذي لمس قسم من أقسام الكلم وهو الحذف.

تردد هذا المصطلح كثيرا عند البصريين منهم سيبويه (ت. 180هـ) الذي يقول: «هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض) اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا وسترى ذلك إن شاء الله فمما حذف وأصله في الكلام غير ذلك لم يك ولا أذر وأشباه ذلك وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يدع ولا يقولون ودع استغنوا عنها بترك وأشباه ذلك كثير» 131.

فسيبويه (ت. 180هـ) من النحاة الذين يجيزون وقوع الحذف في اللغة.

كما تردد أيضا مصطلح (الحذف) في استعمال الكوفيين منهم الفراء (ت. 207هـ) الذي يقول: «وقوله (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) (ومن اتبعن) للعرب في الياءات التي في أواخر الحروف - مثل اتبعن، وأكرمن، وأهانن، ومثل قوله «دعوة الداع إذا دعان - وقد هدان» - أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة. فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي

قبلها دليلا عليها. وذلك أنها كالصلة إذ سكنت وهي في آخر الحروف واستثقلت فحذفت. ومن أتمها فهو البناء والأصل» 132.

ومن العلماء القدماء الذين رفضوا ظاهرة الحذف ابن جني (ت. 392هـ) الذي تطرق إلى ظاهرتي الزيادة والحذف بنوع من الدقة والتوضيح حيث قال: «أعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف وأن أعدل أحوالها أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة فأما وجه القياس في امتناع حذفها فمن قبل أن الغرض في الحروف إنما هو الاختصار ألا ترى أنك إذا قلت ما قام زيد فقد نابت ما عن أنفي وإذا قلت هل قام زيد فقد نابت هل عن أستفهم فوقع الحذف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار فلو ذهبت تحذف الحرف تخفيفا لأفطرت في الإيجاز لأن اختصار المختصر إجحاف به فهذا وجه وأما وجه ضعف زيادتها فمن قبل أن الغرض في الحروف الاختصار كما قدمنا فلو ذهبت تزيدها لنقضت الغرض الذي قصدته لأنك كنت تصير من الزيادة إلى ضد ما قصدته من الاختصار» 133.

ولم يكتف ابن جني (ت. 392هـ) برأيه في رفض ظاهرة الزيادة والحذف في الحروف فقط، وإنما استدل برأي أبي علي الفارسي في هذا الصدد حيث يقول:

«إن أبا علي حكاه عن الشيخ أبي بكر رحمهما الله وهو نهاية في معان ولولا أن في الحرف إذا زيد ضربا من التوكيد لما جازت زيادته البتة، كما أنه لولا قوة العلم بمكانه لما جاز حذفه البتة؛ فإنما جاز فيه الحذف والزيادة من حيث أريتك على ما به من ضعف القياس وإذا كان الأمر كذلك فقد علمنا من هذا أننا متى رأيناهم قد زادوا الحرف فقد أرادوا غاية التوكيد كما أنا إذا رأيناهم قد حذفوا حرفا فقد أرادوا غاية الاختصار ولولا ذلك الذي أجمعوا عليه واعتزموه لما استجازوا زيادة ما الغرض فيه الإيجاز ولا حذف ما وضعه على نهاية الاختصار فقد استغنى عن حذفه بقوة اختصاره» 134.

فابن جني (ت. 392هـ) يذهب في قوله إلى أن الحرف في الأصل هو اختصار حيث قامت مقام الفعل والفاعل، فلا يمكن حذفها لأنه إجحاف، ولا يمكن الزيادة فيها لأن غايتها هي الاختصار والزيادة فيها تناقض مع هذا الاختصار.

وجاء مصطلح الحذف عند محمد باي بلعالم في عدة مواضع، منها قوله: «الأحرف الثلاثة الألف والواو والياء تحذف في الجزم فتقول لم يدع ولم يرم ولم ير... لم يدع لم حرف نفي وجزم وقلب يدع فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الواو من آخره والضممة قبله دليل عليه لم يرم لم حرف نفي وجزم وقلب يرم فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف الياء من آخره والكسرة قبله دليل عليه ولم ير لم حرف نفي وجزم وقلب ير فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف الألف من آخره والفتحة قبله دليل عليه» 135.

ومن أمثلة وقوع الحذف في الحروف قوله: «إذا كان في آخر فعل الأمر حرف من حروف العلة وهي الألف والواو والياء، فبناؤه يكون على حذف آخره ك (اسع) و (اغد) و (ارم)» 136. ويقول أيضا: «قوله: (تقول: يا زيد اغد) مثال لحذف الواو (واسع) لحذف الألف» 137.

كما أشار أيضا محمد باي بلعالم إلى حذف الحروف لبيان المعنى؛ ويستدل على

ذلك بما جاء في القرآن الكريم، وبكلام العرب على تقدير الحرف المحذوف، أو جواز حذفه، والحروف التي تكثر إشاراته إليها في الحذف، منها :

1- حذف حرف النداء:

تطرق الشيخ بلعالم إلى حذف حرف النداء فمنها الجائز ومنها الممتنع، فأما الحذف الجائز فيقول: «حذف (ياء النداء) جائز من المنادى في نحو قول القائل (رب استجب دعائي)، ومنه قوله تعالى (يوسف اعرض عن هذا)» 138» 139.

ويقول أيضاً: «ويجوز الحذف من الموصول نحو: من لا يزال محسناً أحسن إلى...، كما يجوز من المطول نحو: يا طالعا جبلاً أقبل ومنه أي نحو: أيه المؤمنون... يعني حذفها من اسم الإشارة، فهو ممنوع عند بعضهم وجائز عند البعض» 140.

ثم تناول الحذف الممنوع، حيث يقول: «لا يجوز حذف حرف النداء مع المندوب نحو: وا زيدا ولا مع الضمير نحو: يا إياك قد كفيتك ولا مع المستغاث نحو: يا لزيد» 141.

ويقول أيضاً في شرحه لقول الشاعر:

«على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلاً زريق المال ندل الثعالب

ف (ندلاً): مصدر ندل، وهو يدل عن اللفظ بالفعل والتقدير أندل، ومعنى الندل الخطف. وزريق: اسم رجل، وهو منادى على حذف حرف النداء، والمال: مفعول به» 142.

ومن مواضع حذف حرف النداء قوله: «من النواصب للمضارع الفاء والواو الواقعين في الجواب لكن بأن مضمرة وجوباً والمراد بالفاء الفاء المفيدة للسببية والمراد بالواو الواو المفيدة للمعية قوله (قرروه) أي النحاة قوله (كالدعاء) نحو رب وفقني فاعمل صالحاً وإعرا به رب منادى حذف منه ياء النداء وهو منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف منع ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة وفق فعل دعاء مبني على السكون وهو فعل أمر ولكن سمي دعاء تأدياً والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت فاعمل الفاء السببية والفاعل مستتر وجوباً بعد تقديره أنا وصالحاً مفعول به منصوب» 143.

2- حذف اللام:

يقول محمد باي بلعالم: «(وحذف) أي اللام فهي حرف تعليل بمعنى اللام وتكون ناصبة للفعل بعدها بأن مضمرة وجوباً بعد كي نحو جئت كي أقرأ العلم وإعرا به جئت فعل وفاعل وكي حرف تعليل وجر وأقرأ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد كي نحو جئت كي أقرأ العلم وإعرا به جئت فعل وفاعل وكي حرف تعليل وجر وأقرأ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد كي» 144.

أي جئت لكي أقرأ.

3- حذف الهمزة من (ال) التعريف:

يقول محمد باي بلعالم: "اختلف في (ال)، فقيل: هي بجملتها للتعريف وهمزتها

همزة قطع وحذفت في الوصل لكثرة الاستعمال، وهو مذهب الخليل. وقال سيبويه: هي اللام وحدها والهمزة وصل»145.

4- حذف (رَب):

يذهب محمد باي بلعالم إلى أن (رَب) تحذف في عدة مواضع لخصها في قوله: ”(رَب) تختص بكونها لا تقع إلا في أصل الكلام لأن أصل مجرورها مبتدأ. (ولا يليها الاسم إلا نكرة) كما قال ابن مالك: وِرب منكرًا. (وتارة) في بعض الأحوال. (تضمرب بعد الواو) فتحذف (رَب)، ويبقى الواو منها كما مثل الناظم له بقوله: ”وراكب بجاوي“ أي: ورب راكب بجاوي.. وإلى المعنى أشار ابن مالك بقوله:

وحذفت رب فجرت بعد بل والفاء وبعد الواو شاع ذا العمل.

فبعد (الواو) كقوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي.

أي: ورب ليل.. وبعد الفاء قليلا كقوله: فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع... الخ

وكذلك بعد (بل) نحو قول الشاعر: بل بلد ملء الفجاج قتمه... الخ البيت»146.

أي أن (رَب) تحذف في بعض المواضع وتبقى القرينة التي تدل على حذفها، منها وقوعها بعد الواو وبل.

وخلاصة القول أن الظواهر النحوية كتناوب الحروف وزيادتها وحذفها عُرفت عند النحاة واللغويين القدماء والمحدثين، وكانت محل خلاف بينهم، حيث رفض بعض البصريين تناوب الحروف وذهبوا إلى أنه لا يمكن أن يحل الحرف محل حرف آخر، في حين أجاز الكوفيون هذا التناوب، كما اهتم المحدثون أمثال تمام حسان وفاضل صالح السامرائي وغيرهما بهذه الظاهرة وكان لهما موقف ورأي فيها، فأقر تمام حسان بوجود ظاهرة التناوب مع الحفاظ على المعنى الأساسي للحرف، أما فاضل صالح السامرائي فرفضها رفضا قاطعا فيستحيل عنده إحلال حرف محل حرف آخر في المعنى، كما أطلقت على هذه الظاهرة عدة مصطلحات منها: التناوب، والتضمين، والتعاقب.

ويعد محمد باي بلعالم من العلماء المحدثين الذين يقرون بوجود هذه الظاهرة في التراكيب العربية، حيث يمكن للحرف أن يحل محل حرف آخر، وقد صرح بهذا في عدة مواضع وكان يستعمل عدة مصطلحات للدلالة على هذا منها مثلا (رادف) أي هذا الحرف يرادف ذلك في المعنى، أو (يأتي بمعنى) أي هذا الحرف يأتي بمعنى ذلك الحرف.

كما تناول النحاة واللغويين ظاهرة زيادة الحروف، وأطلقوا عليها عدة مصطلحات منها: الزيادة والحشو واللغو والإقحام، وقد ورد مصطلح الزيادة في مؤلفات محمد باي بلعالم ومعنى زيادتها هو إمكانية حذفها والاستغناء عنها، ولكن هذه الزيادة لا تأتي عبثا بل

تكون للتوكيد وتقوية المعنى.

إضافة إلى هذا، اهتم اللغويون والنحاة بظاهرة الحذف في الحروف، فمنهم من أجازها من العلماء أمثال الفراء، ومنهم من رفضه كابن جني الذي رأى أن الحروف تأتي في الكلام دون زيادة أو حذف، وهذا رأي أستاذه أبي علي الفارسي، أما محمد باي بلعالم فذهب إلى جواز الحذف في الحروف لبيان المعنى، وهذا الحذف يقتزن بوجود ما يدل على حذفه، كحذف حرف النداء والإبقاء على المنادى ليبدل عليه، وحذف (أن) الناصبة وإضمارها إذا وقعت بعد عدة حروف نحو (كي)، وحذف (رب) في عدة مواضع منها: بعد (بل) و(الواو) ليدلان على حذفها.

الهوامش

1 - ينظر: ترجمة شيخ المدرسة الشيخ محمد باي بلعالم، محمد علي الأمين الشنقيطي، منشور في كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، محمد باي بلعالم، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ج: 2، ص: 361، وينظر: صفحات من تاريخ منطقة أولف، قدي عبد المجيد، عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 112.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص 363.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص 363، وما بعدها.

4 - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج: 8، ص: 379، مادة (نوب).

5 - ينظر: معاني القرآن، الفراء، عام الكتب، القاهرة، ط: 3، 1983، ج: 1، ص: 218.

6 - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1992، ص: 36.

7 - الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1996، ج: 2، ص: 216، وينظر: معاني القرآن الكريم، النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1988، ج: 3، ص: 12.

8 - معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط: 1، 2000، ج: 3، ص: 7.

9 - المرجع نفسه، ج: 3، ص: 7.

- 10 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 2002، ص: 477، وينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج: 3، ص: 7.
- 11 - سورة طه، الآية: 71.
- 12 - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: 2، 1973، ص: 567.
- 13 - البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ص: 188.
- 14 - لسان العرب، ابن منظر، دار صادر، بيروت، ج: 2، 257، 258، مادة (ضمن).
- 15 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج: 3، ص: 338.
- 16 - البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، ص: 191.
- 17 - معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج: 3، ص: 12.
- 18 - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج: 1، ص: 179، مادة (عقب).
- 19 - ينظر: التّعاقب في اللغة العربية، رأي في تأصيل (التّعاقب) مصطلحاً، محمد أمين الروابدة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، 2009، ص: 4، 5. مقال منشور في الانترنت.
- 20 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 9.
- 21 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.
- 22 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.
- 23 - الخلاصة النحوية، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 2000، ص: 34.
- 24 - سورة الشورى، الآية: 45.
- 25 - منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، دار هومه، الجزائر، 2001، ص: 36.
- 26 - معاني القرآن، الفراء، ج: 1، ص: 306.
- 27 - ينظر: المصدر نفسه، ج: 2، ص: 370.

- 28 - سورة فاطر، الآية: 40 .
- 29 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 36.
- 30 - الكتاب، سيبويه، ج: 4، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط: 1، ص: 227 .
- 31 - سورة الزمر، الآية: 22 .
- 32 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 36.
- 33 - سورة الأنبياء، ص: 77 .
- 34 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 36.
- 35 - معاني القرآن للقرآن، ج: 2، ص: 9، 10.
- 36 - سورة النمل، ص: 33 .
- 37 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 38 - المصدر نفسه، ص: 37.
- 39 - سورة النساء، الآية: 87 .
- 40 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 41 - المصدر نفسه، ص: 37.
- 42 - سورة طه، الآية: 71.
- 43 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 44 - سورة إبراهيم، الآية: 9.
- 45 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 46 - سورة البقرة، الآية: 177 .
- 47 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 48 - المصدر نفسه، ص: 37.
- 49 - سورة المطففين، الآية: 2 .
- 50 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.

- 51 - سورة الأعراف، الآية: 105 .
- 52 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37.
- 53 - سورة البقرة ، الآية: 102..
- 54 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 37، 38.
- 55 - المصدر نفسه، ص: 38.
- 56 - سورة الشورى، الآية: 25 .
- 57 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 38، 39.
- 58 - سورة النجم، الآية: 3.
- 59 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
- 60 - سورة محمد، الآية: 38.
- 61 - الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 17.
- 62 - سورة هود، الآية: 53.
- 63 - الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 17.
- 64 - سورة الانشقاق، الآية: 19.
- 65 - الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 17.
- 66 - سورة الإنسان، الآية: 6.
- 67 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
- 68 - سورة آل عمران، الآية: 123 .
- 69 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
- 70 - سورة آل عمران، الآية: 75.
- 71 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
- 72 - سورة يوسف، الآية: 100.
- 73 - منحة الأتراب شرح على ملحمة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.

74	- سورة هود، الآية: 48 .
75	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
76	- سورة الفرقان، الآية: 59 .
77	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
78	- سورة المعارج، الآية: 1.
79	- الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 20.
80	- سورة الرعد، الآية: 2.
81	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
82	- سورة الإسراء، الآية: 109 .
83	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
84	- سورة الإسراء، الآية: 78 .
85	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
86	- ينظر: معاني القرآن، الفراء، ج: 2، ص: 205 .
87	- سورة الأنبياء، الآية: 47 .
88	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
89	- المصدر نفسه، ص: 39.
90	- سورة الأحقاف، الآية: 11 .
91	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
92	- المصدر نفسه، ص: 39.
93	- منحة الأتراب شرح على ملحّة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 39.
94	- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج: 3، ص: 65 .
95	- الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، ص: 18، 19.
96	- المصدر نفسه، ص: 18، 19.

- 97 - شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج: 8، ص: 128 .
- 98 - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج: 8، ص: 349 .
- 99 - الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 144، 145.
- 100 - المقتضب، المبرد، تحقيق: عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994، ج: 1، ص: 186.
- 101 - شرح المفصل، ابن يعيش، ج: 8، ص: 128 .
- 102 - سورة الأعراف، الآية: 12.
- 103 - سورة البلد، الآية: 1.
- 104 - الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1985، ص: 301، 302.
- 105 - ينظر: معجم تاج العروس، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 3، 1984م. ج: 5، ص: 2006، مادة قجم.
- 106 - ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1987م. ج: 1، ص: 560 مادة قجم.
- 107 - ظاهرة الإقحام في التراكيب اللغوية، خالد بن عبد الكريم بسندي، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 2001م، ص: 15.
- 108 - سورة الحج، الآية: 25.
- 109 - سورة الأنبياء، الآية: 48.
- 110 - الجمل في النحو، الخليل أحمد الفراهيدي، ص: 288 .
- 111 - الكتاب، سيبويه، ج: 3، ص: 140، وينظر: الأصول في النحو، ابن السراج، ج: 2، ص: 207.
- 112 - التحفة الوسيمة شرح على الدررة اليتيمة، محمد باي بلعالم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، ص: 36.
- 113 - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ج: 2، ص: 19.
- 114 - أسرار النحو، ابن كمال باشا، تحقيق: أحمد حسن حامد، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 2002، ص: 272.

- 115 - رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص: 324.
- 116 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 36، وينظر: الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 16.
- 117 - المصدر نفسه، ص: 36.
- 118 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 38.
- 119 - أسرار النحو، ابن كمال باشا، ص: 283، 284.
- 120 - سورة الشورى، الآية: 11.
- 121 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 40.
- 122 - الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 263، وينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ص: 237.
- 123 - معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج: 3، ص: 74.
- 124 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 40.
- 125 - سورة الزمر، الآية: 36.
- 126 - سورة النمل، الآية: 27.
- 127 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 98.
- 128 - سورة النساء، الآية: 78.
- 129 - منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 147.
- 130 - الرحيق المختوم لنزهة الحلوم، محمد باي بلعالم، ص: 104.
- 131 - الكتاب، سيبويه، ج: 1، ص: 23، 24.
- 132 - معاني القرآن، الفراء، ج: 1، ص: 200، 201.
- 133 - سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، ج: 1، ص: 269، 270.
- 134 - سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج: 1، ص: 270.
- 135 - التحفة الوسيمة شرح على الدررة اليتيمة، محمد باي بلعالم، ص: 13.

- 136 - منفة الأتراب شرح ملفة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 16.
- 137 - المصدر نفسه، ص: 16.
- 138 - سورة يوسف، الآية: 29.
- 139 - منفة الأتراب شرح ملفة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 102.
- 140 - المصدر نفسه، ص: 102.
- 141 - المصدر نفسه، ص: 102.
- 142 - المصدر نفسه، ص: 67.
- 143 - الفحففة الوسيفة شرح على الفرة الففيفة، محمد باي بلعالم، ص: 31، 32.
- 144 - المصدر نفسه، ص: 28.
- 145 - منفة الأتراب شرح ملفة الإعراب، محمد باي بلعالم، ص: 13.
- 146 - المصدر نفسه، ص: 42.